تجربة عز الدين المدني المسرحية

يعد عز الدين المدني من أهم المنظرين العرب الذين انشغلوا بقضية التنظير المسرحي، والاهتمام بهوية المسرح تأسيسا وتجريبا وتأصيلا، وذلك للبحث عن قالب مسرحي عربي، وقد انطلق من ملاحظة مهمة تتمثل في أن كثيرا من المسرحيين العرب قد استوحوا من الغرب الفن المسرحي، وأخذوا منه التقنيات والفنيات بشكل ساذج ومستلب، بيد أن هناك من الباحثين من حاول أن يقدم مجموعة من التصورات المسرحية الداعية إلى التأصيل، ولكن بدون فهم حقيقي للواقع العربي، وبدون قراءة متمعنة وعميقة للتراث، فسقطوا في النظرة الفنية السياحية والفلكلورية والإثنوغرافيا.

ليس المدني من الباحثين الذين ينكرون وجود المسرح لدى العرب، بل يثبت بشكل قطعي وحاسم وجود كتابة درامية في التراث العربي الإسلامي كما في كتب التاريخ والمقامات ورسالة الغفران وكتب الآداب والمعارف والفنون، وقد سعى جادا في البداية للتوفيق بين الكتابة النصية التراثية العربية والقالب الغربي، وقد دفعه تفكيره في قضايا المسرح شكلا ومضمونا إلى طرح تصور نظري جديد يسمى في منظورنا بالمسرح التراثي، وهو قريب من التصور الاحتفالي كما عند **عبد الكريم برشيد** و**الطيب الصديقي**. وعلاوة على ذلك، ينظر إلى المسرح من خلال رؤية تراثية احتفالية قائمة على الحفل والتجمع والاحتشاد والمشاركة الوجدانية والذهنية والحركية، وذلك لعرض فرجة مسرحية احتفالية ممتعة ومفيدة تثير الجمهور الحاضر.

المرجعيـات النظريـة:

ينبني تصور عز الدين المدني في بناء نظريته المسرحية الجديدة القائمة على مسرحة التراث على مجموعة من الخلفيات المعرفية والفكرية والإيديولوجية، ويمكن أن نحصرها في المرجعيات الآتية:

- اعتماد الاحتفالية العربية والمغربية على حد سواء.
- تمثل التجربة الإخراجية عند الطيب الصديقي في تعامله مع التراث.
- الاستفادة من التراث العربي الإسلامي.
- الانفتاح على المسرح الغربي القديم والحديث والمعاصر.

– استدعاء النظرية البريختية من خلال توظيف خاصية التغريب.
– استلهام النظرية الميتامسرحية القائمة على الارتجال وفضح اللعبة المسرحية.
– التأثر بالمسرح الشرقي.
– الانطلاق من تصورات الإخراج المعاصر كدعوات بيتر بروك، وكوردون كريغ وأنطونين أرطو، وغيرهم..

موقف عز الدين المدني من التراث:

نشر عز الدين المدني في مجلة **الحياة الثقافية** بتونس، سنة 1978م، مقالا نظريا بعنوان: **نحو كتابة مسرحية عربية حديثة**، مدافعا عن نظرية مسرحية عربية جديدة تقوم على تشغيل التراث بطريقة إبداعية هادفة قوامها التجديد وتحقيق الحداثة الحقيقية، ولا يقتصر هذا التراث على ما هو عربي فقط، بل كان يعود إلى التراث اليوناني لإعادة كتابته من جديد عن طريق التحوير الدراماتورجي والتفاعل الحواري، وإضافة إلى ذلك، لا يدعو المدني إلى تقديس التراث وتمجيده، بل يدعو إلى التعامل معه كقيم ومواقف وأفكار وأشكال، مع نقدها وغربلتها وتبيان زيفها.

آليات التعامل مع التراث عند المدني:

وظف عز الدين المدني مجموعة من الآليات المسرحية في تعامله مع التراث، مثل:
– **المفارقة:** التي تكمن في استخدام عناوين غريبة ومتناقضة في مجال المسرح كالجمع بين الشعر والتاريخ في مسرحية **ديوان الزنج**، والجمع بين الرحلة والمسرح كما في مسرحية **رحلة مسرحية**، والجمع بين الرسالة والمسرحية في نصه الدرامي **رسالة مسرحية**، والجمع بين المسرح والعروض كما في مسرحية **على البحر الوافر**، وهذه الطريقة معروفة في كتب التراث التي كانت تتعدد فيها الموضوعات، وتتنوع فيها الرسائل والفصول والأبواب.
– **الاستطراد**، والمقصود به عنده هو استخدام أركاح متعددة لإخراج المسرحية، مع الحفاظ على الاندماج الموجود بين المتكلم والمتلقي قدر الإمكان.
– **الاستخراج:** وهذه الآلية بمثابة نوع من الاستطراد، كانت موجودة بكثرة في كتب التراث العربي، والمقصود منها أن الراوي يقص الحادثة في خطوطها العامة، ثم يعود ليتحدث عن نقطة جاءت غامضة بغية توضيحها وتفسيرها وإضاءتها أو التعليق عليها.

– **التشذير:** والمقصود بها توظيف الكتابة الشذرية في شكل فقرات قصيرة جدا تتسم بالتقطيع.

الإنتـاج المسـرحي عند المدني:

بدأ المدني في كتابة نصوصه المسرحية منذ السبعينيات من القرن الماضي، ومن أهم أعماله المسرحية الدالة على المنحى التراثي، نذكر: **ثورة صاحب الحمار**، و**ديوان الزنج**، و**الحلاج**، و**رحلة مسرحية**، و**مولاي السلطان الحفصي**، و**الغفران**، و**رسالة مسرحية**، و**تعازي الفواظم أو تعازي فاطمية** و**رسالة التربيع والتدوير**، و**على البحر الوافر**.

المراجع:

– جميل حمداوي: المسرح التونسي بين التأسيس والتجريب والتأصيل، مجلة الفنون المسرحية، ط1، 2006.